دحض أباطيل فَرِيدٍ الأَنْصارِي وَإِيرِيك يونُس فيما شككا فيه من التوحيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فإن المدعو إيريك يونس قد نشر في موقعه الإلكتروني عددا من المقاطيع المرئية للدكتور فريد الأنصاري –غفر الله له وتجاوز عن سيئاته–.

ومنها مقطع عنون له مترجمه بـ: «التوحيد الكاذب»، وعلق عليه إيريك يونس قائلاً: «أنا لا أوافق الأخ على هذا العنوان، فإنه يظهر لي أنّ «التوحيد الناقص» أقرب إلى مقصود الشيخ»[1].

ومن الأمور التي تضمنها هذا المقطع:

– دعواه عدم وجود لفظ (التوحيد) في الكتاب والسنة.

– ومنها دعواه أن كلمة (التوحيد) لا تعطي تربية، ومن ذلك زعمه أن التوحيد في اللغة «إنما يقع على معنى المشتتات»، وقوله: «ربي ماشي مفرق سبحانه، هو إله وصف نفسه، قال: ﴿واحد﴾، ما يحتاج أنت توحده».

– ومنها زعمه أن المصنفات في التوحيد تخاطب العقل ولا تخاطب الروح وأنها –في الغالب– خالية من المقاصد التربوية.

وسأتناول هذه الأباطيل بالرد عليها في الوقفات الآتية إن شاء الله تعالى.

والله ولي التوفيق.

[1] ويؤكد هذا على أنه قد استمع إلى هذا المقطع.

- **الوقفة الأولى** في بيان وجود التوحيد لفظاً ومعنى في النصوص الشرعية وفي كلام السلف:

قال الله تعالى في سورة الإخلاص:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]

وقال عز وجل:

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]

نجد في هذه الآيات كلمتي (أحد) و(وحده) وهما مشتركتان مع كلمة (التوحيد) في أصل الاشتقاق وهو مادة (الواو) و(الحاء) و(الدال) الدالة على الانفراد[٢].

وقال الإمام البغوي -رحمه الله- في «معالم التنزيل» (١/٧١): « ﴿اعْبُدُوا﴾ وَحِّدُوا، قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: كلّ ما ورد في الْقرآن من العبادة فمعْناها التّوحيد».

وعليه فمعنى التوحيد موجود في القرآن، بل قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (٣/ ٤١٧): « نقول قولاً كليّاً: إنّ كلّ آيةٍ في القرآنِ فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما

[٢] ينظر «معجم مقاييس اللغة» (٦/٩٠) لابن فارس.

يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد».

وإلى هنا فالدكتور موافق إذ يقول: «لكن النصوص تشهد للمعنى ولا تشهد للفظ»، إلّا أنه قال قبل ذلك: «وحتى في السنة –سبحان الله العظيم–، السنة إنما ثبت فعل، أمّا كلمة (توحيد) هكذا، في حديث صريح، لا تكاد تجده بهذه العبارة[3]، هو استنباط طلعه العلماء، وجاء البخاري –رحمه الله– وكتب كتاب التوحيد في «الصحيح»»».

هذا الكلام عليه ملاحظات:

الملاحظة الأولى في قوله: « السنة إنما ثبت فعل، أمّا كلمة (توحيد) هكذا، في حديث صريح، لا تكاد تجده بهذه العبارة ».

فمحاولة التفريق بين مؤدى فعل (وحّد) ومصدره (توحيد) مجرد سفسطة، لاسيما إذا عرف القارئ أن أصل الاشتقاق هو المصدر لا الفعل في أرجح قولي أهل اللغة! فلو كان فعل (وحّد) وما تصرف منه –على حد زعم الدكتور– هو الموجود في النصوص دون المصدر فما المانع من إطلاق المصدر؟!

هذا مع أن مصدر (وحّد) موجود في صحيح السنة:

١– أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (٨٨٦/٢) حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي ﷺ، وفيه قول جابر:

[3] الأصل أن (كاد) إذا أثبتت نفت وإذا نفت أثبتت كما قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢/ ٦٩)، لكن الظاهر من كلام الدكتور الأنصاري –غفر الله له– أنه يقصد النفي! وبيان ذلك في ادعائه أن إطلاق (التوحيد) استنباط من العلماء!

[...] ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به، فأهلّ بالتوحيد «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**» وأهلّ الناس بهذا الذي يهلون به، فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئا منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته».

٢- وأخرج الإمام الترمذي في «جامعه» (٧١٣/٤، رقم: ٢٥٩٧ -تحقيق أحمد شاكر-) عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمماً ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة**»... الحديث[٤].

قال الترمذي عقبه: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه أيضاً الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٥٨٠/٥).

٣- وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٣٠٧/١١، رقم: ٦٧٠٤ -ط. مؤسسة الرسالة) بسند صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٨٧٣/١)، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة وأن هشام بن العاصي نحر حصته خمسين بدنة وأن عمرا سأل النبي ﷺ عن ذلك، فقال: «**أما أبوك، فلو كان أقر بالتوحيد، فصمت، وتصدقت عنه، نفعه ذلك**».

٤- وأخرج أيضاً في «مسنده» (٤٣/ ٣٧، رقم: ٢٥٨٤٣) من حديث أبي هريرة أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ضحى اشترى كبشين عظيمين، سمينين أقرنين، أملحين موجوئين[٥]. قال: فيذبح أحدهما عن أمته ممن أقر بالتوحيد، وشهد له بالبلاغ، ويذبح الآخر عن محمد وآل محمد[٦].

---

[٤] المقصود من هذا الحديث ما قاله الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-، كما في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٦٩): «فالله سبحانه يغفر لأهل المعاصي التي دون الشرك إذا شاء ذلك، أو يعذبهم في النار على قدر معاصيهم ثم يخرجهم منها بشفاعة الشفعاء كشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الملائكة والأفراط والمؤمنين، ويبقى في النار أقوام من أهل التوحيد لا تنالهم الشفاعة من أحد فيخرجهم الله سبحانه وتعالى برحمته لأنهم ماتوا على التوحيد والإيمان ولكن لهم أعمال خبيثة ومعاصي دخلوا بها النار، فإذا طهروا منها ومضت المدة التي كتب الله عليهم أخرجوا من النار برحمة من الله عز وجل ويلقون في نهر يقال له (نهر الحياة) من أنهار الجنة [...]».

[٥] أيْ خَصِيَّيْن، كما في «النهاية» لابن الأثير (ص ٩٥٩).

[٦] قال محققو المسند: هو صحيح لغيره.

٥- وعنه أيضاً في «مسنده» (١٣/٤٠٨، رقم: ٨٠٤٠) عن النبي ﷺ قال: «**كان رجل ممن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد، فلما احتضر قال لأهله: انظروا إذا أنا مت أن يحرقوه حتى يدعوه حمما، ثم اطحنوه، ثم ذروه في يوم راح. فلما مات فعلوا ذلك به، فإذا هو في قبضة الله، فقال الله عز وجل: «يا ابن آدم، ما حملك على ما فعلت؟» قال: «أي ربِّ مِن مَخافَتِك». قال: فغفر له بها، ولم يعمل خيراً قطّ إلا التوحيد**».

الملاحظة الثانية في زعمه أن استعمال كلمة (التوحيد) « هو استنباط طلعه العلماء، وجاء البخاري -رحمه الله- وكتب كتاب التوحيد في «الصحيح»».

قد تقدم في الوقفة الأولى أن كلمة (التوحيد) موجودة في حديث النبي ﷺ، فلا يعد استنباطاً من العلماء! بل هي لفظة شرعية استخدمها أهل العلم كما استخدمها رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام -رضوان الله عليهم-. وقد مر ذكر بعض من كلام الصحابة في ذلك في ثنايا الأحاديث المسرودة قبلُ، وإليكم مزيداً، والله الموفق:

١- ذكر عن خالد بن الوليد (٢١ هـ) أنه قال لما حضرته الوفاة:

«لقد طلبت القتل مظانه، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد التوحيد من ليلة بتها وأنا متترس[٧]، والسماء تهلني، ننتظر الصبح حتى نغير على الكفار»[٨].

٢- وروي عن ابن عباس (٦٨ هـ)، وغيره، أنه قال:

«القدر نظام التوحيد، فمن وحد ولم يؤمن بالقدر، كان كفره نقضا للتوحيد، ومن وحد وآمن بالقدر كانت عروة لا انفصام لها»[٩].

---

[٧] أي: متستر بالترس، كما في «لسان العرب» (٦/٣٢).

[٨] «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/٣٨١).

[٩] «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢/٤٢٢)، و«القدر» للفريابي (١/١٥٩)، و«الشريعة» للآجري (٢/٨٧٥)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٤/١٥٨)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٤/٦٨٩).

٣– عن الأوزاعي قال: سمعت يحيى بن أبي كثير، يقول: «إن الله عز وجل لم يبعث نبيا قط إلا بهؤلاء الخمس: التوحيد، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت، وشرائع بعد»[١٠].

٤– قال شعيب بن حرب: قلت لمالك بن مغول: أوصني، قال: «أوصيك بحب الشيخين أبي بكر وعمر»، قلت: إن الله أعطى من ذلك خيراً كثيراً، قال: «أي لكع، والله لأرجو لك على حبهما ما أرجو لك على التوحيد»[١١].

٥– وعن مجيب بن موسى الأصبهاني، يقول: كنت عديل سفيان الثوري (١٦١ هـ) إلى مكة، فكان يكثر البكاء، فقلت له: يا أبا عبد الله، بكاؤك هذا خوفا من الذنوب؟

قال: فأخذ عودا من المحمل فرمى به وقال: «لذنوبي أهون علي من هذا، ولكني أخاف أن أسلب التوحيد»[١٢].

٦– ولما توفي سعيد بن عبد الرحمن القرشي (١٧٦ هـ)، رثاه بعض الشعراء بقوله:

ثُلْمَةٌ فِي الإِسْلامِ مَوْتُ سَعِيدِ   شَمِلَتْ كُلَّ مُخْلِصِ التَّوْحِيـــدِ

ذَاكَ أَنِّ رَأَيْتُهُ لا يُبَالـــــــي   فِي تُقَى اللَّهِ لَوْمَ أَهْلِ الْوَعِيدِ[١٣]

٧– أخرج الإمام قوام السنة الأصبهاني بسنده عن أبي يوسف الكوفي (١٨٢ هـ) صاحب أبي حنيفة، أنه قال: «ليس التوحيد بالقياس، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل في الآيات التي يصف بها نفسه أنه عالم قادر قوي مالك، ولم يقل إني قادر عالم لعلة كذا أقدر، ولسبب كذا أعلم، ولهذا المعنى أملك، فلذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يعرف إلا بأسمائه ولا يوصف إلا بصفاته».

---

[١٠] «الحجة في بيان المحجة» لقوام السنة الأصبهاني (١٥١/٢).

[١١] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/ ١٣١٨).

[١٢] «تاريخ أصبهان» لأبي نعيم (٢/ ٢٩٥).

[١٣] «تاريخ أصبهان» لأبي نعيم (٤/ ٦٢٥).

٨- قال الإمام الشافعي (٢٠٤ هـ): « طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد»[١٤].

٩- وروى عدد من تلاميذ الإمام أحمد (٢٤١ هـ) أنه كان يقول: «صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة من يشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأقر بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل وعقد عليه عَلَى ما أظهر ولم يشك فِي إيمانه ولم يكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب»[١٥].

وبهذا العرض، تبين أن كلمة (التوحيد) كانت متداولة بين سلف هذه الأمة، كيف لا وقد نطق بها أسوتنا نبينا محمد ﷺ**!؟** فبطلت دعوى الدكتور الأنصاري -غفر الله له- أنها مجرد «استنباط طلعه العلماء، وجاء البخاري -رحمه الله- وكتب كتاب التوحيد في «الصحيح»»**!**

[١٤] «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ٥٤).

[١٥] «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/٢٩٣).